هذا وطني MY HOME

مؤهلات محافظة نينوى بالتميز عن بقية المدن العراقية كثيرة، ولا يمكن إحصاؤها أو سردها في تحقيق بسيط، فالمدينة الثرية بعدد أنبيائها وأوليائها تتميز أيضا بتعدد مساجدها وكنائسها وأديرتها، ولا غلو وأنت تسير في شوارعها أن تشاهد أزياء مختلفة، فهذا مرتديا زيه العربي، وذاك بلباسه الكردي، وتلك تسير بزيها الايزيدي المتميز بألوانه البراقة، مدينة حباها الله بنعمة التنوع في كل شيء حتى في طبيعتها الجغرافية، تجد الجبال والسهول والهضاب والتلال والمروج والغابات، لذا تجد إنتاجها الزراعي متنوعا ولا تخلو المدينة من أي منتج زراعي، وهذه نعمة كبيرة .

□ نينوى / يوسف المحمداوي .. تصوير / محمود رؤوف

مـــــزار لجـمـــيـع الأديـــــــان والـــطـــوائـــف

جامـع النبـي يونـس ضـوء ساطـع في سمـاء الموصـل

جوامع ومقامات وكنائس

فهناك الجامع النوري أو ما يسمى بالجامع الكبير الذي يشتهر بمنارته الحدباء والتي تلقب الموصل بها أحياناً، وهناك جامع ومرقد عون الدين (ابن الإمام الحسن)، وهو عون الدين بن الأمام الحسن بن الأمام علي بن أبي طالب عليهم السلام. وفيها أيضا الكنائس والأديرة القديمة مثل كاتدرائية الأرثوذكس التي تقع في محلة الخزرج، وتسمى اليوم كاتدرائية الأرثوذكس والتي يعود تاريخها لسنة ١١٦٨م وغيرها من الكنائس والأديرة.

أول مكتبة عرفها العالم

هذا العدد الكبير من الكنائس والأديرة والكاتدرائيات إنما هو دليل وشاهد حي على أن الآشوريين هم سكنة العراق الأصليون ولإمبراطوريتهم شأن كبير في التاريخ الإنساني، حيث يقول الكاتب سعد سعيد الديوه جي في مؤشرات عابرة حول حضارتي الموصل ونينوى:" لقد امتدت الإمبراطورية الآشورية في أوج سعتها من بحر إيجة شمالاً حتى صعيد مصر جنوباً، وأجمع المؤرخون على أن الحضارة الآشورية وعاصمتها العظيمة نينوى مثلت جسراً بين الحضارات التي قبلها كالسومرية والبابلية القديمة والتي جاءت بعدها كالبابلية الحديثة والإغريقية، حيث دلت الشواهد التي تم العثور عليها في مكتبة آشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٦ ق.م) على ذلك، وهي عن رُقم طينية بلغ عددها أكثر من ٢٥٠٠٠، باللغات القديمة إلى جانب الآشورية، مما يدل على اهتمامهم بالنقل والترجمة والتأليف.

ولقد كانت مكتبة آشور بانيبال أول مكتبة أرشيفية بالمعنى الحرفي للكلمة يعرفها العالم القديم.

مركز الديانة الايزيدية

وعظمة نينوى الآن تشهد عليها الآية الكريمة الآتية ((وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) الصَافات))، ومدينة بتعداد مئة ألف في تلك الحقبة تعتبر مدينة كبيرة جداً.

مقامات يونسية عديدة

الزائر للموصل لا يمكنه أن يتجاهل أهم وابرز الجوامع في نينوى، ألا وهو جامع النبي يونس ،وهو النبي الذي بعثه الله إلى أهل الموصل كما تذكر الآية القرآنية ((فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ)) (٩٨) (سورة يونس). وهذا دليل على إيمان أهل نينوى بالله قبل مجيء الإسلام لهم في زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رض).

وعلى واجهة الجامع أو المرقد كتبت الآية القرآنية (وأن يونس لمن المرسلين)، وعلى الرغم مما يؤكده بعض المؤرخين بأنه قبر النبي يونس الذي بعثه الله إلى نينوى لينقذهم من عذاب النار، وقد آمنوا بالفعل، ومنع عنهم العذاب - كما تشير الآية القرآنية - إلا أن بعض المؤرخين ينفون وجود القبر ويقولون انه قبر لنبي آخر وليس ليونس هذا النبي الذي حظي من بين الأنبياء بأكثر القبور والجوامع في أماكن مختلفة من الوطن العربي، فبالإضافة الى الجامع الذي توجهنا باتجاهه فهناك مقام النبي يونس في مدينة حلحول التابعة لمحافظة الخليل في فلسطين ، ويقع في منطقة مرتفعة أيضا كصاحبنا العراقي حيث يبلغ ارتفاعه (١٠٢٧)مترا، وكذلك يوجد مرقد له في لبنان وتحديدا في جنوبه، وكذلك يوجد النبي يونس في سوريا بين مدينتي حماه وادلب، وهناك مقام آخر على ضفاف نهر الكوفة ويسمى أيضا بجامع الحمراء حيث بني هذا الجامع في عهد خلافة الإمام علي(ع)، وهو تخليدا لمقام النبي يونس (ع)، حيث يذكر الرواة أن الحوت ألقاه في هذا المكان وبقي فيه لحين سفره إلى مدينة الموصل مبعوثا من الله عز وجل، ووافته المنية هناك، ليصبح مزارا كبيرا تزوره جميع الأديان والقوميات.

قصر الملك اسرحدون

يؤكد بعض المواطنين أن تحت هذا المرقد الرائع بكل تفاصيله يوجد قصر كبير للملك الآشوري اسرحدون ويحتوي هذا القصر على تحف نادرة للحضارة الآشورية، وهناك من شاهد تماثيل كبيرة من الثيران المجنحة حين كانت إحدى الفرق الآثارية تقوم بالبحث هناك، وهذا الامر حصل في ثمانينات القرن الماضي، ولقدسية المكان وأهميته عند أهالي الموصل خاصة والعراقيين عامة أمرت السلطات الحكومية بطمر المكان ، وغلق الموضوع تماما ليسدل الستار عن اثر حضاري أنساني مهم وليس عراقياً فقط.

حين توجهنا أنا والزميل محمود بمعية الصديق خالد، كانت خشيتنا هي عدم موافقة الحرس وهم أفراد من الجيش العراقي أن نقوم بالتصوير، فقلت لمحمود ان يقوم بالتصوير من داخل السيارة، لكن لسوء الحظ شاهدنا الحرس وأمرنا بالنزول وبالفعل قمنا بالذهاب إليه، فأحدهم وافق على التصوير، والثاني رفض لكون الكاميرا التي يحملها محمود كبيرة ويخشى أن يشاهدها الضابط في حالة مروره، فقلت له لدي كاميرا صغيرة ممكن أن احملها في جيبي فوافق وفعلا صعدت أنا ومحمود وخالد باتجاه حبيب جميع الأديان، وشارع السعدون التي امتلأت

العمارة المتميزة

لأنه لم يختص بدين أو طائفة معينة لذلك تجد اسم يونس عند المسلمين والمسيحيين والايزيديين، شأنه شأن أسماء الأنبياء الأخرى إبراهيم، يوسف، نوح، آدم، شيت... وغيرهم من الأنبياء الذين لم يتخصصوا أو يعرفوا بدين معين.

زيارته من شروط الحج

يقع الجامع أو القبر على السفح الغربي من تل التوبة، في الجهة الشمالية الشرقية من نهر دجلة، فوق تل النبي يونس الذي كان ملاذا يحتمي فيه الزهاد والنساك ، ويسمى أيضا بمسجد التوبة، وقد عثر كما يقول المؤرخون على قبر النبي يونس فيه وذلك عام ٧٦٧ هجرية.

وسواء كان قبرا للنبي يونس أو لا فان اغلب شعوب الدول الإسلامية حين يرومون الذهاب إلى الحج أو العمرة، يجدون في زيارة النبي يونس في الموصل شرطا مكملا لفريضة الحج، وما يعزز قولي أن وجدت العديد من الزائرين الإيرانيين داخل المرقد، والتفت حال مشاهدتهم صوب بغداد وبالتحديد عند منطقة البتاوين وشارع السعدون التي امتلأت فنادقها بالإيرانيين الذين يصعب علينا التمييز بين مؤمنهم القادم من اجل الزيارة، وبين السيئ الذي قد يكون جاء من اجل بيع أفيون الموت لمواطنينا أو العبث بأمن البلاد تحت مسمى الدين ورددت مع نفسي وأنا اصعد سلالم ذلك الصرح العظيم ما قاله احد الشعراء:

يا رب يونس مغلوبون في دمنا

الجرح مستيقظ والأهل قد رقدوا

إنا دعوناك أغراب تسيرنا

كأنهم في ربانا اليوم قد ولدوا

الإنارة الدائمة والزاهية

ويبين المؤرخ الموصلي سعيد الديوه جي أن الجامع مشيد على السفح الغربي من تل التوبة، الذي أنشئ عليه عدد من القصور والمعابد في فترات متباينة، حيث كل حقبة زمنية تبني قصورها على أنقاض سابقتها تشيد على أنقاض ما قبلها، ويبين أن الملك الآشوري ادد نيراري الثالث بن شمش ادد الخامس ٨٥٠-٧٨٢ ق .م بنى قصرا في موقع الجامع.

وبعد مقتل سنحاريب خلفه على العرش أسرحدون ٦٨٠-٦٦٩ ق. م فوجد في هذا المكان قصرا متداعي البنيان، قد اتخذ منه مخزنا للأسلحة ومربطا للخيول، فقام بتدمير القصر ليشغل التل مساحة واسعة ليقيم له قصرا آخر.

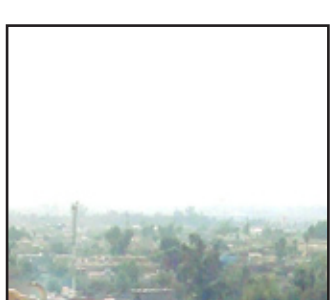

قبة المرقد

وأنت تسير فوق المدرجات الحجرية التي تتجه بك صوب المرقد أو المقام او الجامع، لا يمكن أن تخفي دهشتك عن روعة وجمالية المكان حيث الأشجار والمصاطب التي خصصت للعوائل هناك، حيث تعكف العوائل الموصلية على جلب طعامها إلى ذلك المتنزه الكبير الذي يسور مرقد هذا النبي السعيد بمحبة الناس، قال لي الصديق خالد: ان المرقد في الليل أجمل من النهار، لان المصابيح الملونة التي علقت كنشرات ضوئية في جميع زوايا المرقد تبدأ بالإضاءة بشكل تدريجي حتى تحيل المكان إلى نهار مشمس، فالأشجار مضاءة بمصابيح بأحجام وألوان مختلفة، والاهم من كل ذلك أن التيار الكهربائي لا ينقطع عنه أبدا، فتذكرت بغداد وأزمتها الكهربائية التي أنعشت اقتصاد الكثير من البلدان ،من خلال صناعتها للمولدات الكهربائية التي أصبحت سلعة منزلية تقتنيها العوائل العراقية.

مانح البهجة والصبر

فضلا عن السلالم والمدرجات الكبيرة والجميلة هناك مدرج خاص للسيارات وهو دائري يشبه الدورة التي تدورها العجلة اثناء تخطيها اي كلي في كردستان العراق لكن هذا المدرج اضافة الى مرآب السيارات اقفل تماما بعد تعرض المرقد الى تفجير ارهابي عام ٢٠١٠، الصعود باتجاه الضريح يشعرك روحانيا بأنك متجه نحو هالة مقدسة ربانية خالصة، ويواظب اهل الموصل على زيارته حين يشعرون بالضيق وقلة الحيلة لانه كما يقولون زيارته تبعث البهجة وتمنح الصبر، وتراه يزدحم بالزائرين في فصلي الصيف والربيع، وانت متجه الى باحة واسعة زينت بالنقوش والاخشاب على طريقة العمارة الاسلامية تواجهك على الجدار لوحة رسم عليها هاتف خلوي وكتب عليها اقطع اتصالك بالمخلوق واتصل بالخالق، وهي دعوة مزدوجة لغلق الهاتف واقامة الصلاة، ويقابلها في جدار آخر قطعة منقوشة كتب عليها رمم المسجد والضريح في عهد الرئيس احمد حسن البكر، وآيات قرآنية فضلا عن اسماء الله الحسنى.

اثناء وصولي لباب الضريح تذكرت بيت ابوذية اعاتب فيه حبيبتي القديمة "وحق حوت اللي نقذت يونساها.. بعدكم عيني محد يونساها... كلبك ذكر روحي يونساها..انا بذكراك كل صبح ومسيه".

مفخرة معمارية

مسجد النبي يونس، بني في عهد الملك عيسى الأيوبي في القرن السابع الهجري، ولم يكن في هذا الشكل المعماري المذهل والرائع لكونه يتجدد مع كل حقبة زمنية تعيشها محافظة نينوى، وهذا ما يجعل منه فضلا عن أهميته الدينية مفخرة معمارية من حقنا كعراقيين أن نتباهى بها، وجدت هناك العديد من الزائرين المرضى الذين ينشدون العافية من رجل بالتأكيد له حظوته وبركته عند الخالق، وهذا الإيمان الفطري هو الدافع لهؤلاء بطلب الشفاء من هذا النبي الصالح، وايضا هناك مجموعة من المتسولين في حين أن العديد من الزائرين كانوا يقدمون النذور للضريح بينما هؤلاء الفقراء أولى بها بحسب اعتقادي، وهنا تذكرت صديقي الصحفي رفعت عبد الرزاق محمد حين روى لي الأبيات التي قالها شاعر النيل حافظ إبراهيم أثناء زيارته لضريح السيد احمد البدوي في طنطا بعد أن رأى الناس يطوفون حول المرقد ويلقون المال في الضريح وفي باب المسجد الكثير من المتسولين فقال حينها:

إحياؤنا لا يرزقون بدرهم

وبألف ألف ترزق الأموات

من لي بحظ النائمين بحفرة

قامت على أحجارها الصلوات

يسعى الأنام لها ويجري حولها

بحر النذور وتقرأ الآيات

ويقال هذا القطب باب المصطفى

ووسيلة تقضى بها الحاجات

■ **والى حكاية أخرى من هذا وطني**

الجامع مشيد على السفح الغربي من تل التوبة، الذي أنشئ عليه عدد من القصور والمعابد في فترات متباينة

العدد الكبير من الكنائس والأديرة والكاتدرائيات إنما هو دليل وشاهد حي على أن الآشوريين هم سكنة العراق الأصليون ولإمبراطوريتهم شأن كبير في التاريخ الإنساني

المحرر في باب الجامع